

التصور العام للزمن

مفهوم الزمن:

يقال الزمن والزمان ويسمى في اللغتين الاغريقية واللاتينية (xpovos) وتمبوس (tempus) وفي اللغات الحديثة زاي (zeit) وتايم (time) بالانجليزية وتمبو (tempo) بالاطالية ، وفترة تبدأ بحدث سابق وتنتهي بحدث لاحق ومن ذلك الفصول ويمثل هذا المعنى أقدم معاني الزمن وأكثرها استعمالا ويتصل بالحياة الاجتماعية وبسائر مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية . ومن معاني الزمن التحول والاستحالة المستمرة التي تصير الحاضر ماضيا ويقابل هذا المعنى فكرة الديمومة (duree) والسيرورة (devenir) عند برغسون. اما المعنى الاخر للزمن فهو يشبه الفضاء الذي تقع فيه الحوادث فيكون موجودا بذاته . ولا وجود للزمن خرج الفكر لانه لا يوجد الا في العقل الذي بإمكانه ان يعي التلاحق والتعاقب منطقيا وواقعا على مستوى الاحداث والوقائع. فهو (علاقة التعاقب التي تقوم بين المونادات، وهذه العلاقات هي مجموعة الادراكات). فضلا عن هذا فان الذهن او الوعي الباطني هو الذي يرتب العلاقات والمعارف بين اقسام الزمان الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)

٧ الفهم اللغوي للزمن:

الزمن لغة اسم لقليل الوقت وكثيره، والعرب قد فرقوا بين الزمان والدهر فالزمان عندهم هو زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد وهو احد فصول السنة ولا يجاوز عندهم من شهرين الى ستة اشهر اما (الدهر) فهو لا ينقطع يقع على كل الازمنة وعلى مدة الدنيا كلها ، واما (الحين) فهو اسم للوقت يصلح لجميع الازمنة وقد انفردت العربية دون غيرها من اللغات السامية بكلمة (الزمان) فيها كما يوجد في العربية الكثير من الالفاظ الدالة على الزمان مثل (الابد، الدهر، الحين، الوقت، الاجل، السرمد، الخلد، الامد، المدة، امتد) ولكل منها معناه الخاص والدال على قسم ونوع من الزمن فـ(الان) للدلالة على المدة او الوقت واللحظة الحاضرة وقد تعني الوقت الطويل او القصير، واما (الابد) فهو صيغة ظرف زمان او هو الوصف الدال على الامتداد الزماني في المستقبل، واما (الخلد) فتحمل المعنى نفسه، ولفظة (المدة) و(الاجل) بمعنى المدة المحددة او نهايتها. واما (الوقت) فهو جزء من الزمان ويرى الاشعري ان الوقت له عدة دلالات منها:

(١) الوقت هو الفرق بين الاعمال، وهو مدى ما بين عمل الى عمل، ويحدث مع

كل وقت فعل.

(٢) الوقت هو ما توقته للشيء، وزعموا ان الاوقات هي حركة الفلك.

والزمان هو ساعات الليل والنهار. ومع تميز العربية بلفظة (زمان) الا اننا لا ننج لها اثرا في القران، اما الزمن فدلالته الاصلية في المعاجم تدل على مرض او داء يصيب الابل والدواب . اذن يجب ان نفرق بين لفظتي (زمان) و(زمن) فـ(الزمان) هو مدى ما بين الافعال وهو حركات الفلك من الليل والنهار والتي هي الاوقات على نحو اخص، اما (الزمن) فهو حركة الاجسام المدركة -أي افعال الانسان على نحو خاص- أي ان الانسان هو وحده الذي ينتج زمن فعله. فالزمن وعي وادراك لفعل الانسان في الواقع.

واما على صعيد الادب فينبغي بنا ان نستعمل (الزمن) بوصفه مصطلحا نقديا دالا على احد عناصر الفن القصصي لا (الزمان) لان الزمن مركب لغوي وهو يقع ضمن المجال النحوي لانه جزء من فعل الانسان ما عدا زمن الظروف التي تحيل على مفهوم (الزمان) لا (الزمن) ويذهب الدكتور تمام حسان الى ان النحو " هو نظام العلاقات في السياق فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المنعزلة وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ يكون الزمن الصرفي قاصرا على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق. فلا مفر اذاً من النظر الى الزمن في السياق نظرة تختلف عما يكون للزمن في الصيغة لان معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث ان الزمن الصرفي وظيفة الصيغة وان الزمن النحوي وظيفة السياق تحدها الضمائم والقرائن" اذن فالزمن لغوي والزمان طبيعي وفلسفي. فالزمن اللغوي هو صيغ تدل على وقوع احداث في مجالات زمنية مختلفة ترتبط ارتباطا كلياً بالعلاقات الزمنية عند المتكلم ، " والملاحظ ان كلمة (الزمان) وليس (الزمن) هي التي كانت سائدة في مباحث النحاة القدماء ولا سيما في تحليل الفعل والظرف[...]. اما الباحثون المعاصرون فقد راج عندهم استعمال مصطلح (الزمن) واقل منه (الزمان) لانهم نظروا الى موضوعه بكونه موضوعا مستقلا[...]. وارىد بهذا المصطلح (أي الزمن) وسائل التعبير عن الزمن وهي في جوهرها الصيغ" وخالصة القول ان اللغة تتعامل مع دراسة الزمن على اساس انه قيمة محسوسة مقطعة الى خانات -أي ماضي وحاضر ومستقبل- . ونرى البحث في سبب عدم ورود لفظة (الزمن) عند اللغويين والنحويين القدماء، ربما يكون ان العرب لم تتصور للزمن مفهوما مجردا عن الطبيعة فما بين اللغة والطبيعة حالة تلبس لا يمكن الفصل بينهما، فالفصل بين (الزمن) في اللغة و(الزمان) الطبيعي والفلسفي هو محض فصل عقلي ليس الا ، ونرى تمايزا بين الزمن اللغوي والزمان الطبيعي ، فالزمن اللغوي هو عبارة عن افعال حدثت في الزمان الطبيعي فهو بمثابة الحاوي للفعل الانساني واللغوي ولا موجب بعد ذلك للفصل بينهما . ان كانا كذلك .

التصور الخاص للزمن

أولاً : الفهم الأدبي للزمن :

للزمن اثر كبير في الفنون الادبية اجمعها. وذلك لان الزمن الادبي زمن انساني فهو زمن التجارب والانفعالات زمن الحالة الشعورية التي تلازم المبدع ، فهو ليس زمنا موضوعيا او واقعيا بل هو زمن ذاتي ونسبي من مبدع الى اخر فهو غني بالحياة الداخلية للفرد والخبرة الذاتية له.اذ"ان الانسان الذي يعي التغيير في طبيعته هو وفي الطبيعة من حوله هو الذي يخلع مفهوم الزمان المجرد على العالم المحسوس. هكذا يغدو الزمان (الدورة الفلكية وحركة الكواكب وكذا تحولات الطبيعة وتغيرات المكان) -بنفاذه الى الذهن -بنية لغوية وقد تعبر عن التجربة النفسية بطريقة واعية ولا واعية في ان واحد."

ان اللغة التي تعبر عن كون الزمن تشكل بحضورها المستمر ،خلفية التجربة.ولذلك فان بنية الكلمات هي الدعامة الوحيدة لفكرة الزمن في الادب .

ثانيا : - الفهم السردي للزمن :

١ - التصور العام : يعرف نقاد السرد الزمن بـ :

- أ- الزمن هو مجرد حقيقة سائلة لا تظهر الا من خلال مفعولها على الشخصيات والمكان والزمن هو القصة وهي تتشكل ، وهو الايقاع
- ب- "الزمن خيط وهمي مسيطر على كل الانشطة والافكار . فاء ذا لكل هيئة من العلماء مفهوما(كذا) للزمن خاص بها". فهو مفهوم مجرد"لا يدرك بوجه صريح في نفسه(لا يرى،ولا يسمع،ولا يشتم،ولا يلمس).ولكنه يدرك فيما يحيط بنا من اشياء واحياء،فادراكه يتوقف على علاقة خارجية تظاهر على الاحساس به على نحو ما"
- ج-وهو"العلامة الدالة على مرور الوقائع اليومية"وهو"اطار يشمل كل الأحداث[كذا]ويضفي عليها صفة الانتظام".

٢-التصور الخاص:انطلق معظم نقدتنا العرب عند حديثهم عن الزمن السردى من الفهم اللغوي الغربى له وتحديدات الغربيين له،فالزمن فى النص السردى هو زمن داخلى،ناتج من حركة الشخصيات فيه ،ووعياها له،وقد صنف نقدتنا ازمنة النص السردى الى:

١- (الزمن الطبيعى) و(الزمن الحدتى) و(الزمن اللغوى):

وهو تقسيم الناقد اميل بنفنسنت ، ويعنى بالزمن الأول الزمن الفيزيائى ،وهو زمن خطى ،ويستطيع الانسان قياسه بحسه وايقاع حياته الداخلية ، اما الزمن الثانى فهو زمن الأحداث التي تعطي حياتنا كمتتالية من الوقائع ، وهذان الزمانان مزدوجان ذاتيا وموضوعيا ، اما الآخر -أي الثالث - فهو زمن مرتبط بالكلام او اللغة ووظيفته وظيفة

خطابية ومنبعه هو الحاضر، "فالحاضر هو أساس كل التقابلات الزمنية للغة، ومنه يمكن ان نلمس حدثا غير معاصر للخطاب، وهذا ما تستدعيه الذاكرة ولحظة يكون الحدث غير متحقق الحضور فيها".

٢- (زمن الحكاية او المغامرة او القصة) و(زمن الكتابة) و(زمن القراءة) وهو تقسيم صاحبي كتاب "عالم الرواية" وتقسيم ميشال بوتور.

ويعنيان بزمن الحكاية زمن الأحداث التي هي على صعيد النص (تراكيب الصيغ والسياق) وبزمن الكتابة زمن الخطاب واساليب عرض الأحداث وتتابعها وسيرها وهو زمن تاريخي يخص الكاتب وتاريخ كتابته للأحداث وبزمن القراءة المدى الزمني الذي تستوعبه قراءة تلك الأحداث وهو يرتبط بعملية التلفظ بمعنى اخر قد يقدم الكاتب -مثلا- خلاصة وجيزة لأحداث وقعت في سنتين "زمن الحكاية او المغامرة" استغرقت كتابتها ساعتين "زمن الكتابة وقراءتها في دقيقتين "زمن القراءة".

٣- (زمن الكتابة) و (زمن القراءة) وهما زمانان على صعيد القصة. فهما زمانان خارجيان والتقسيم هذا يعود الى تودوروف وقد وضحنا ما المقصود منهما

٤- (زمن القصة او الحكاية او المتن الحكائي) و(زمن الخطاب او السرد او المبنى الحكائي او النص) وهذا التقسيم هو الأشهر والاكثر تداولاً من حيث النظرية والتطبيق عند نقدة اليوم من العرب، ويرجع اصله الى الشكلانيين الروس ومن بعدهم رينيه ويليك واوستن وايرين و جان ريكاردو وتودوروف وجيرار جينيت. وتسمى اليمنى العيد الزمن الأول بـ"زمن الوقائع" والثانية بـ"زمن السرد" فزمن المتن هو زمن ترتيب الأحداث في القصة فهو زمن تتابعي يخضع للتنظيم المنطقي للأحداث داخل القصة، بينما زمن الخطاب او المبنى لا يخضع لذلك لانه زمن عرض الأحداث بغض النظر عن ترتيبه فهو ان صح التعبير (زمن اسلوبي) يتعلق باسلوب الكاتب وتقنياته في عرض الأحداث. ان الزمن الأول هو زمن سياقي (أي دلالي) بينما الثاني هو زمن لتكوين النص وعلاقته اللغوية أي النحوي بمعنى اخر زمن القصة وزمن الخطاب هما زمن المدلول والدال. ومن النقدة اليمنى العيد التي تفهم الزمن السردى على انه زمن لغوي مرتبط بالفاعل فالزمن هو ما تقوم به الشخصية. أي الشخص الواقعي عندها. من عمل. لا ما يتضمنه الزمن النحوي من دلالة حرفية منعزلة عن فاعله وعلى هذا النحو يغدو الزمن لدى اليمنى العيد اقرب الى مفهومه الدلالي من التركيب، واغلب نقدة السرد اليوم. يحددون الزمن السردى من مرجعه الزمن الموضوعي، اذ لديهم الزمن الموضوعي، وهو زمن متكون من اللغة نفسها. ولا ندري كيف يمكن الفصل بين السردى سواء منه الداخلي (النص او الخطاب) ام الخارجي (زمن القارئ والكاتب والأحداث) وبين الزمن الموضوعي الذي هو زمن القصة نفسها، ونرى ان هذه الثنائية هي محض وهم

اصطنعه السرديون انفسهم ، فكيف يفصل بين زمن القصة (الموضوع) وبين الخطاب (الذي هو اسلوب العرض)؟ بمعنى اخر بين البنية وسياقها وبين العلامة والشئ وبين الدال والمدلول؟ فكلاهما يحيل على الآخر فالقصة تحيل على الخطاب كما ان الخطاب هو نفسه قصة مصاغة ، ولانرى موجبا لوضع مصطلحين (زمن القصة وزمن الخطاب) يحيلان على شيء واحد هو القصة المصاغة نفسها او الوجود الموضوعي للحدث. على كل فوجود هذين المصطلحين سرى في كتاباتنا النقدية من غير الالتفات الى وجودهما الاعتيادي فالزمن في النص (القصة والخطاب) هو محض تصور ليس الا وليس بشيء حقيقي . يستدعي هذه الثنائية المتصورة .